

2013

الجنوب المغربي وإشكاليات عصر البرونز بالمغرب من خلال النقوش الصخرية

عبد الخالق المجيدي
المركز الوطني للنقوش الصخرية، أكادير، المغرب

عبد اللطيف البرينسي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، مراكش، المغرب

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/dirassat>



Part of the [Geography Commons](#), and the [History Commons](#)

Recommended Citation

البرينسي, عبد اللطيف (2013) "الجنوب المغربي وإشكاليات عصر البرونز بالمغرب من عبد الخالق المجيدي, Dirassat. Vol. 16 : No. 16 , Article 3.

Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/dirassat/vol16/iss16/3>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Dirassat by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aarj.edu.jo, marah@aarj.edu.jo, u.murad@aarj.edu.jo.

الجنوب المغربي وإشكالية عصر البرونز بالمغرب من خلال النقوش الصخرية

عبد الخالق المجيدي

المركز الوطني للنقوش الصخرية - أكادير

عبد اللطيف البرينسي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية - مراكش

تقديم:

طبع الانتقال من العصر الحجري Age de la pierre إلى عصر المعدن Age du Métal جل الثقافات المادية وأفرز مجتمعات جديدة نوعيا. وتميز تاريخ المجتمعات منذ بداية الاعتماد على المعدن، في سلسلة الإنتاج، بدورات تجديدية في الزمان والمكان⁽¹⁾. وبتعميق الفوارق داخل المجتمعات التي أفرزتها الحقبة السابقة (النئوليتي).

وكان لاستعمال النحاس، في بداية الأمر، أن مرت بعض الثقافات مباشرة إلى مرحلة إنتاجية مهمة شجعت الإنسان على اكتشاف البرونز وانتشاره في مناطق مجاورة لمهاد ظهوره ليصل لاحقا إلى أرجاء واسعة من المعمور. وقد شغل عصر البرونز حيزا مهما من كرونولوجية عصر المعدن ومرد ذلك في اعتقادنا إلى:

□ التغيرات المناخية التي عرفتها بداية الهولوسين إضافة إلى المشاكل الإيكولوجية التي طبعت الهولوسين الأوسط وتأثيرها البيئي.

□ إكراهات تحقيق الاكتفاء الذاتي للمجموعات البشرية نتيجة التقلص التدريجي للموارد الطبيعية التي لم تعد قادرة على تغطية حاجيات المجموعات البشرية وذلك خلال الألف الخامس والرابع قبل الميلاد.

فرض هذا الوضع الإيكولوجي الجديد والمعقد حلين أساسيين على الإنسان هما:

أ . الترحال الدائم سعيا وراء استيطان المناطق الصالحة للعيش .

ب . تغيير سريع لأساليب إنتاجه وما ارتبط بها من تحولات بنوية في العلاقات الإنتاجية.

(1) مثلا ساهم عصر البرونز في تقريب وتقليص فترات تطور الشعوب الانتقالية نتيجة الاستعمال الكبير للأدوات والأسلحة المعدنية. بخصوص شمال إفريقيا والمغرب، انظر: أسمر الحفوظ، جوانب من حضارة شمال إفريقيا القديم والصحراء من خلال النقوش والرسوم الصخرية، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ، الرباط 2003 - 2004.

ولمتابعة هذه التحولات متابعة رصينة تسمح بالنفاذ إلى بعض تفاصيلها، يتوفر الباحثون على وثائق أثرية متنوعة لكنها متفاوتة الاستغلال تبعاً لتطور البحث الميداني والتنظيري. وعادة ما يقسم الباحثون المواقع الأثرية إلى صنفين رئيسيين:

صنف مادي محض كبقايا السكن والأدوات الحجرية والمعدنية وغيرها وهو مستغل بشكل أوسع في ميدان البحث.

صنف مادي بقيمة ثقافية ورمزية ومنه مواقع الفن الصخري بنوعيهما الرسوم والنقوش الصخرية. وتواجه الاعتماد على هذا الصنف من الوثائق الأثرية في البحث صعوبات واضحة سببها أولاً اعتراف المهتمين المتأخر بقدرة الإنسان القديم على التعبير بطرق تجريدية كالرسم والنقش والنحت، وثانياً الوثيرة السريعة التي تختفي بها مواقع الفن الصخري بفعل التعرية الطبيعية والتخريب الذي يلحقه بها الإنسان.

I. تاريخ الفن الصخري بالمغرب

ارتباطاً بموضوع المقال ونظراً لما يقدمه الفن الصخري من معطيات تساعد على فهم إشكالية عصر البرونز في المغرب وضبط خيوطها، نرى من المفيد تقديم بعض الأفكار عن تطور هذا الفن.

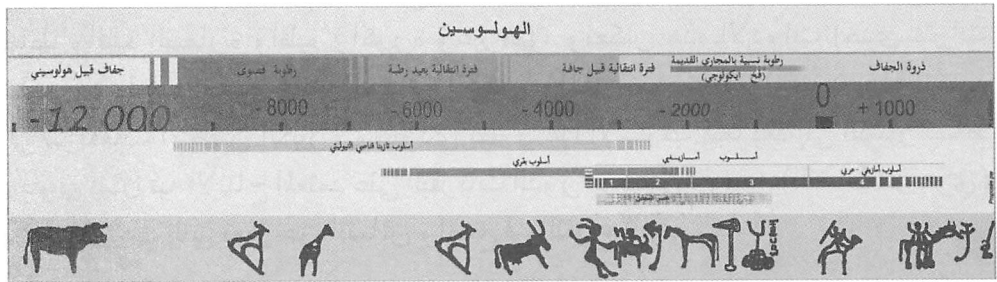
من دون شك أن الفن الصخري في المغرب تطور عبر مراحل تعكس التطور البيئي العام لشمال إفريقيا وتطور أساليب التأقلم البشري معه. ويمكن تقسيم تاريخ هذا الفن في المغرب إلى مرحلتين رئيسيتين⁽²⁾:

□ مرحلة تتميز بوضوح خصائص مجتمع القنص والصيد يمثل فيها الوحيش البري غالبية مواضيع الرسم والنقش. وتمتد هذه المرحلة زمنياً من بداية الحقبة الهولوسينية إلى الألف الخامس - الرابع قبل الميلاد.

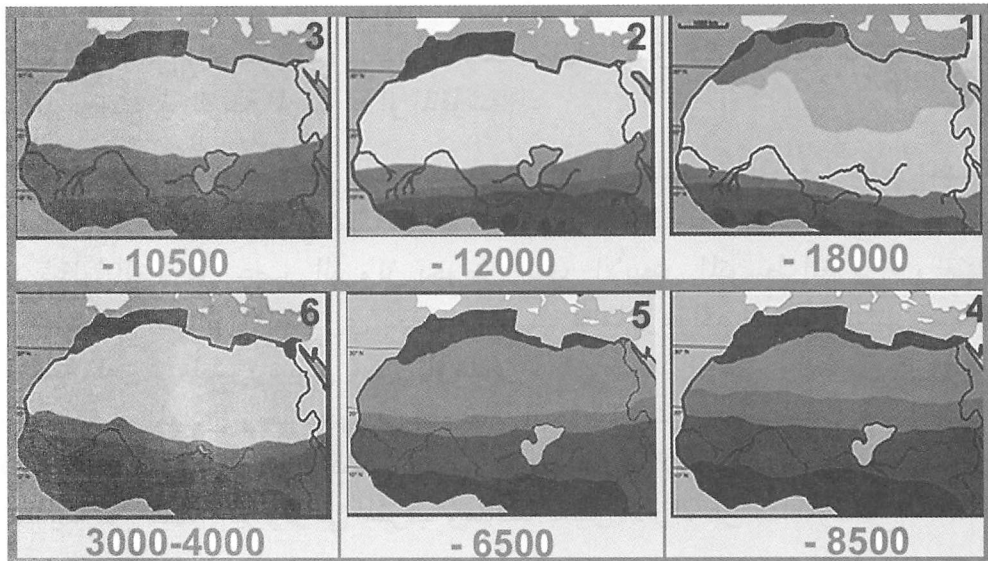
□ مرحلة سيادة نمط عيش الرعاة تقدم فيها الرسوم والنقوش أول الأمر لوحات للأبقار ثم لوحات للقطيع الصغير (أغنام وماعز). ونعتقد أن هذه اللوحات تعكس تحولاً من حياة رعوية تعتمد على الأبقار إلى حياة رعوية تقوم على الأغنام والماعز ربما نتيجة لظروف مناخية قاسية.

(2) انظر الشكل رقم -1 أ، ب في الصفحة 3- بيان كرونولوجي نسبي لتطور الفن الصخري في المغرب وخريطة اتساع الصحراء وتقلصها حسب تطور المناخ الهولوسيني.

من المحتمل أن المرور من مرحلة إلى أخرى قد واكبه انتقال من بنية سوسيو-اقتصادية تركز على ما توفره الطبيعة من أسباب العيش إلى بنية جديدة تعتمد الاستقرار وتحويل الموارد الطبيعية لصالح الإنسان في مجالات محدودة. وتنعت المراجع هذه المرحلة الانتقالية بالفترة البقرية (Bovidienne).



شكل رقم 1-أ- تاريخ تطور الفن الصخري والمناخ الهولوسيني بالمغرب



شكل رقم (3) 1 - ب: 1، جفاف شديد: حوالي 18000 سنة قبل الحاضر. 2، زحف الواجهة الصحراوية الشرقية نحو الشمال: حوالي 12000 قبل الحاضر. 3، زحف الواجهة الغربية من الصحراء نحو الشمال: حوالي 10500 قبل الحاضر. 4، مرحلة ذروة الرطوبة: حوالي 8500 قبل الحاضر. 5، مرحلة رطوبة نسبياً: حوالي 6500 قبل الحاضر. 6، بداية المرحلة الجافة الحالية: حوالي 4000-3000 قبل الحاضر. لاحظ توسع وتقلص بحيرة تشاد حسب هذه المراحل.

وارتباطا بموضوع إشكالية البرونز بالمغرب - وحتى نزيغ عنه كثيرا - سنركز على الفترات الأخيرة من المرحلة البقرية، وسنعمد على تحليل إيقونوغرافي (Iconographique) لما تقدمه بعض النقوش من رسومات وصور.

يقدم الشكل رقم 2-ص 5، نماذج لبعض الأدوات المعدنية⁽⁴⁾ (سواطير مواقع إقليم طاطا وإقليم السمارة وإقليم زاكورة وغيرها)، وتعكس هذه الأدوات إحدى فترات تطور الأسلوب البقري الذي امتد في الزمان والمكان من مواقع أوسرد بواد الذهب إلى مرتفعات الأطلس الكبير، وسيؤدي تطور هذا الأسلوب فيما بعد إلى انتشار نشاط رعوي يمثل فيه الإنتاج المعتمد على البقرات الدور الرئيسي، ويبين (النشاط الرعوي) وفرة المراعي التي تعبر عن انتعاش واضح في التنوع البيئي.

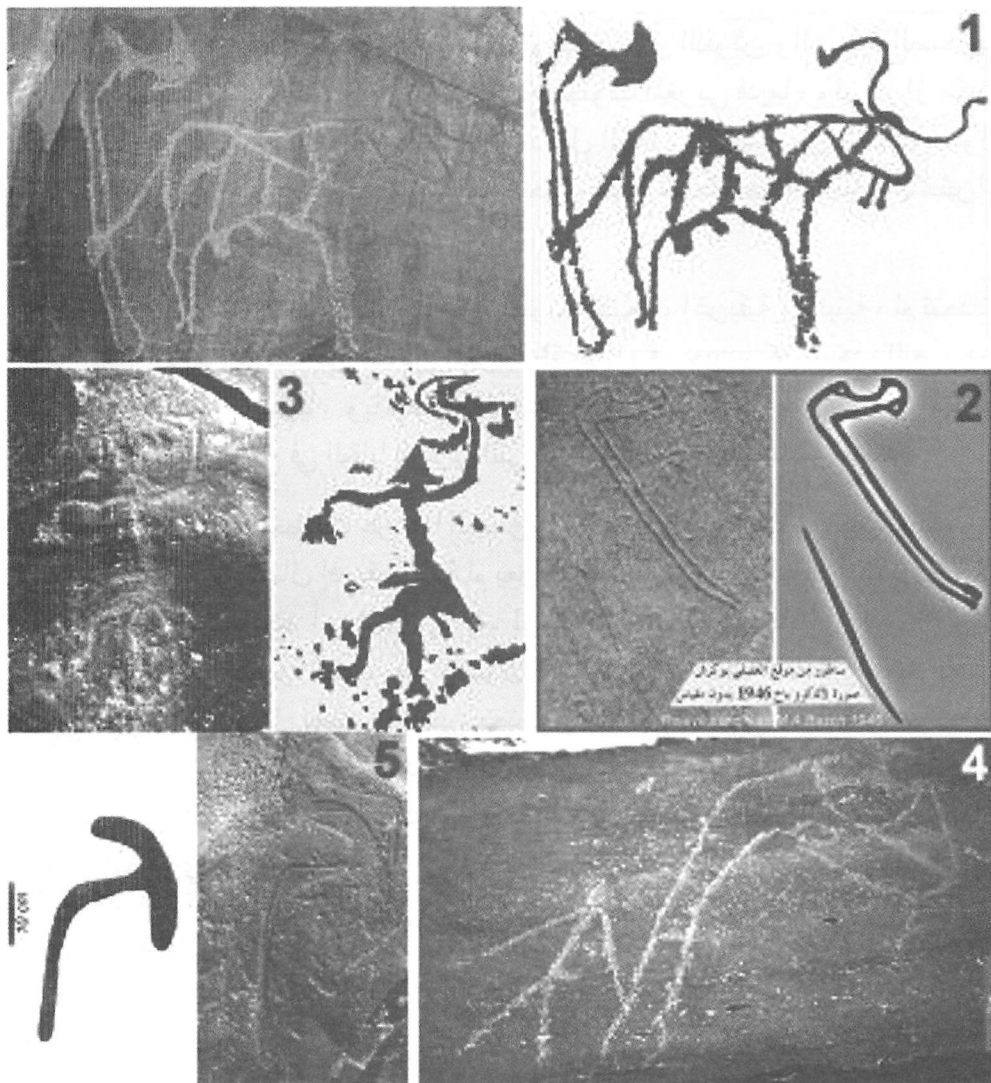
ومن دون شك أن هذا التحول الإيقونوغرافي يقدم صورة، ولو تقريبية، عن نظرة إنسان الجنوب المغربي القديم إلى العالم المحيط به بكل مظاهره. ويبقى المشكل هو كيفية تجاوز الصعوبات التي تعترض المعالجة الأركيولوجية للتطور الإيقونوغرافي في الفن الصخري وهي (الصعوبات) متعددة الأوجه؛ منها ما سبق ذكره ومنها ما هو مرتبط بالطبيعة الأثرية للوحة المرسومة أو المنقوشة⁽⁵⁾.

ومن بين الخلاصات التي يمكن تقديمها هنا هي أن الجنوب المغربي يعتبر إحدى المناطق الناذرة بإفريقيا التي تملك شواهد مرسومة ومنقوشة عن عصر البرونز القريبة في شكلها العام من عصر البرونز بحوض البحر الأبيض المتوسط الغربي. ونعتقد أن أهمية مواقع الفن الصخري بجنوب المغرب عامة ومواقع الأطلس الكبير بصفة خاصة تكمن في الصورة التي يمكن بناؤها من خلال مشاهد الرسوم والنقوش عن حياة رعاة عصر المعادن ومساهماتهم في بناء ثقافة البحر الأبيض المتوسط المادية - المعدنية في علاقتها بشمال إفريقيا وأقصى جنوب غرب القارة الأوربية، وهو ما يجرننا إلى الحديث عن عصر البرونز في المغرب ومناقشة بعض الآراء عن هذا الموضوع.

(4) انظر الشكل رقم 2 . ص . 5 وللمزيد من المعلومات، راجع،

Belatik, M., Atki, M., Nami, M., et Lemjidi, A., Rapport de mission d'inventaire, Les sites rupestres de Fom El Hisn, Province de Tata, 11 - 18 Mai 2004.

(5) Lemjidi, A., La gravure rupestre est elle un vestige archéologique ?



شكل رقم 2: 1، موقع ادرار متكورين بطاطا. 2، العصلي بوكرش بالسماراة. 3، تيغيرت بقم الحصن، طاطا. 4، تاشوكالت بقم الحصن. 5، تيرشت بقم الحصن.

II. عصر البرونز بالمغرب وإشكالية الأصول الإيبيرية.

نسعى من خلال هذا العنوان إلى تبيان وتوضيح دور النقوش والرسوم الصخرية في إعادة صياغة بعض القضايا المرتبطة بتاريخ الجنوب المغربي قديما، وفي إبراز مكانة المعلومات التي تقدمها مواقع الفن الصخري داخل النقاش الحاصل بين الباحثين حول وجود عصر برونزي بالمغرب من عدمه وحول مدى صحة مقولة بعض الباحثين⁽⁶⁾ «بالأصول الإيبيرية للبرونز المغربي».

تجب الإشارة أولا، إلى أن النصوص المكتوبة القديمة، إغريقية ولا تينية، لم تتحدث لا من بعيد ولا من قريب عن معادن المغرب القديم⁽⁷⁾، في حين ركزت هذه النصوص أكثر على التعدين بإيبيريا. وبالإضافة إلى غياب إشارات قديمة عن معادن المغرب القديم هناك شح واضح في البقايا الأثرية التي تم العثور عليها في مناطق مختلفة⁽⁸⁾

ونعتبر أن غياب المعطيات عن هذا العصر هو ما جعل الباحثين الأوروبيين يعتقدون، في بداية الأمر، أن شمال إفريقيا عامة لم يعرف عصرا برونزيا. وكان كسيل⁽⁹⁾ رائد هذا التوجه، حيث اعتقد أن شمال إفريقيا لم يعرف مرحلتين النحاس والبرونز، بل انتقل مباشرة إلى عصر الحديد مع وصول الفينيقيين إلى المنطقة حاملين معهم بعض الأدوات المعدنية. وظل بعض الباحثين يجترونها هذا الاعتقاد إلى غاية الخمسينات من القرن العشرين⁽¹⁰⁾ حيث اعتبر جودان Jodin «أن منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط دخلت عصر المعادن في وقت كانت فيه إفريقيا الشمالية تعيش على إيقاع حضارة نهاية العصر الحجري»⁽¹¹⁾.

(6) انظر، مثلا، Gsell، St، Histoire ancienne de l'Afrique du Nord، T.1 1920. P.212.

(7) باستثناء حديث هيرودوت (Hérodote، IV) عن تجارة الذهب الصامتة دون تحديد زمانها ومكانها.

(8) انظر الشكل رقم 3. ص 6.

(9) Gsell، St.، op.cit. p.212.

(10) نذكر منهم:

Balout, R., Préhistoire de l'Afrique, essai de chronologie, Paris 1955. p. 490

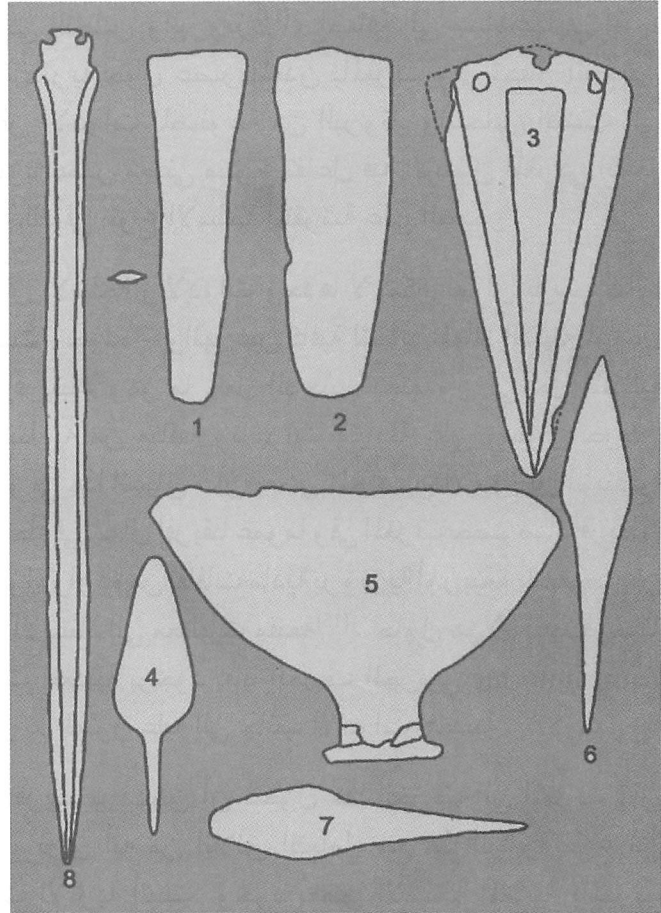
Vaufray, R., Préhistoire de l'Afrique, I, Maghreb, Paris 1955. p. 268

(11) Jodin, A., Les civilisations du Sud de l'Espagne et le néolithique marocain. Congrès préhistorique de la France, XVème session. 1956. pp. 565 – 576

شكل 3: الأسلحة والأدوات
المعدنية قبيل التاريخية التي تم
اكتشافها بالمغرب:

سواطير: 1- واد عكراش
بضواحي الرباط، 2- كهف
البارود بضواحي بن سليمان،
5- بني يزناسن بشرق
المغرب. طبار: 3- المرس.
رؤوس حادة: 4- سيدي
مسعود 6- عين الدالية، 7.

Robert Chenorkian, 1988⁽¹²⁾



وقد استمر هذا الاعتقاد إلى غاية الخمسينيات من القرن الماضي، حيث تم اكتشاف بعض مواقع الفن الصخري التي تقدم لوحات لبعض الأدوات والأسلحة يبدو أنها معدنية خصوصا في الأطلس الكبير. وكانت أولى اكتشافات النقوش الصخرية بهذه المنطقة على يد الباحث الفرنسي جون مالهوم⁽¹³⁾، Malhomme، ونعتبر أن هذه المواضيع المنقوشة على صخور حثية Grès دليل واضح على واهية الاعتقاد السابق ودافع إلى مراجعة الباحثين لأطروحاتهم القديمة. وساهمت معطيات النقوش الصخرية بالأطلس الكبير في تتبع معالم قبيل التاريخ Protohistoire بالمغرب

(12) **Chenorkian, R.**, Les armes métalliques dans l'art protohistorique de l'Occident méditerranéen. Paris 1988.

(13) **Malhomme, J.**, Une représentation de haches du bronze (grand Atlas, BSPM, Nouv. Serie.n°7et 8, 1956. pp. 105 – 106 et 108.

وشمال إفريقيا خصوصا فترتي النحاس والبرونز⁽¹⁴⁾، إضافة إلى مساهمتها في تقديم قراءة جديدة لنتائج الأبحاث الأثرية حول عصر المعدن بالمغرب وفي تحفيز الباحثين على القيام بتنقيبات جديدة عن الأدوات المصنوعة من البرونز والنحاس أفضت إلى نتائج مشجعة وإلى إثبات وجود عصر معدني متنوع تفاعل فيه الإنسان المغربي القديم مع محيطه الجغرافي ويتجلى ذلك في تنوع الأسلحة المنقوشة على الصخر.

تجدر الإشارة إلى أن نقوش الأسلحة والأدوات وحدها لا يمكن لها أن ترسم إطارا لعصر المعادن - وإن كانت تثبت وجوده - وأنها غير كافية لتحديد المعالم الدقيقة لمراحل تطور ثقافات المعدن بشمال إفريقيا، وهو ما جعل الباحثين يجتهدون في حل إشكالية الإطار التكنولوجي وما ارتبط به من ثقافة وتأثيرات متبادلة على مستوى حوض البحر الأبيض المتوسط. ويبدو في هذا السياق، أن بعض المختصين الأوروبيين لم يتقبلوا فكرة وجود عصر معدني بمراحله في شمال إفريقيا عموما وفي المغرب خصوصا، فربطوا بعض الأدوات والأسلحة بأصول واردة من ثقافات مادية برونزية أوروبية، خصوصا من شبه الجزيرة الإيبيرية، دون الاستناد إلى معطيات مقنعة⁽¹⁵⁾. حاول هؤلاء تأييد فرضية الأصل الإيبيري لتلك الأدوات المعدنية بوجود بقايا الخزف الجرسى Campaniforme الذي يرجع إلى عصر النحاس تم العثور عليه إلى جانب الأدوات المعدنية.

ظل الباحثون وإلى وقت قريب يرددون أن دخول هذا الخزف إلى المغرب كان من إيبيريا⁽¹⁶⁾. وفي اعتقادنا، نرى أنه من اللائق التعامل مع هذا الرأي بنوع من التفحص لاسيما وأن الأبحاث الأثرية أثبتت وجود بعض الأسلحة المعدنية بالمغرب لم تكن معروفة بإيبيريا يضاف إلى ذلك أن الخزف الجرسى الذي أيد فرضية الأصل الأوروبي للتعدين بالمغرب أصبح هو الآخر محط نقاش بعد الاكتشافات التي تمت بكهف البارود قرب مدينة بنسليمان والتي أظهرت أن تقنية صناعة الأواني الخزفية وشكلها وزخرفتها تختلف عن تلك التي استعملت في صناعة الأواني الخزفية بإيبيريا⁽¹⁷⁾.

(14) Souville, G., *Témoignage sur l'âge de bronze au Maghreb occidental*, CRAI, 1986, p.98 et 113.

(15) Jodin, A., *Les civilisations du Sud de l'Espagne et le néolithique marocain*, Congrès préhistorique de France, XVème session 1956. pp. 565 – 576.

(16) Jodin, A., *Nouveaux documents sur la civilisation du vase campaniforme au Maroc*, Congrès de préhistoire de la France, 1956. pp.677 – 687.

(17) Mikdad, A., *Etudes préliminaire et datation de quelques éléments campaniformes de site kahf el baroud (Maroc)*, Beitrage Zurallgeun und vergleichen archäologie, Band, 18. 1999.

خلاصة:

من خلال ما سبق، نعتقد أن فرضية "عدم معرفة المغرب لعصر معدني" قد تم تجاوزها بفعل اكتشافات نقوش الأسلحة ببعض مناطق المغرب وخاصة بالأطلس الكبير. ومن الراجح أن هذا العصر عرف تحولا في البنيات السوسيواقتصادية، لكننا نرى أنه من الصعب جدا - طبعا في ظل غياب معطيات كافية - ربط ظهور التراتبية في المجتمعات القديمة عامة والمغرب خاصة بإدخال المعدن في الحياة الاقتصادية، بل يجب الرجوع إلى نهاية النيوليتي لتفسير ورصد بداية هذه التراتبية.

ولا يفوتنا في الأخير، أن نقدم تحفظنا عن إسقاط نتائج الأبحاث في شبه الجزيرة الإيبيرية على واقع شمال إفريقيا عامة والمغرب خاصة، ونرجع هذا التحفظ إلى أن :

□ البرونز الأوربي عرف تطورا أكبر في السهول، في حين أن البرونز في المغرب وجد بالخصوص في المرتفعات (مرتفعات الأطلس الكبير مثلا) وارتبط بالرعي أكثر من ارتباطه بالزراعة وهو ما يدفع إلى الاعتقاد إلى أن نقوش الأسلحة بالأطلس الكبير، ربما ترمز إلى وظيفة الأسلحة الدفاعية (الدفاع عن المراعي) والرمزية (رمز الزعامة والقوة).

□ تشكل نقوش الطبر Hallebarde والأسلحة الأخرى أكثر من سبعين في المائة (18) من مواضيع النقوش بالأطلس الكبير، بينما لا تفوق نسبتها الأربعين في المائة في شبه الجزيرة الإيبيرية (19).

(18) Salih, A.; Oujâa, A.; Heckedorf, R.; Nami, M.; El Graoui, M.; Lemjidi, A. et Zohal, H, L'aire de l'Oukaïmeden, Haut Atlas, Maroc : Occupation humaine et économie pastorale, (1998). Beiträge zur Allge-meinen und Vergleichenden Archäologie, 18: pp. 253-295

(19) Chenorkian, R., Les armes métalliques dans l'art protohistorique de l'Occident méditerranéen. Paris 1988

بيبليوغرافيا

- أسمهر المحفوظ ، جوانب من حضارة شمال إفريقيا القديم والصحراء من خلال النقوش والرسوم الصخرية ، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ ، الرباط 2003 – 2004 .
- Balout, R.,** *Préhistoire de l'Afrique, essai de chronologie*, Paris 1955. p. 490.
- Belatik, M., Atki, M., Nami, M., et Lemjidi, A.,** *Rapport de mission d'inventaire, Les sites rupestres de Foum El Hisn*, Province de Tata, 11 – 18 Mai 2004. عمل غير منشور.
- Chenorkian, R.,** *Les armes métalliques dans l'art protohistorique de l'Occident méditerranéen*. Paris 1988.
- Gsell, St,** *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, T.1 1920. P.212
- Jean-Loïc Le Quellec :** *L'environnement*, http://www.saharafragile.org/ARTICLES/art_climat_jllq.htm
- Jodin, A.,** *Les civilisations du Sud de l'Espagne et le néolithique marocain*. Congrès préhistorique de la France, XVème session. 1956. pp. 565 – 576.
- Jodin, A.,** *Nouveaux documents sur la civilisation du vase campaniforme au Maroc*, Congrès de préhistoire de la France, 1956. pp.677 – 687.
- Lemjidi, A,** *La gravure rupestre est elle un vestige archéologique*
مداخلة أقيمت بالملتقى الأول لأخصائي الزمن الرباعي سنة 2001 بالمعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث – الرباط عمل منشور .
- Malhomme, J.,** *Une représentation de haches du bronze (grand Atlas, BSPM, Nouv.Serie.n°7 et 8, 1956. pp. 105 – 106 et 108.*
- Mikdad, A.,** *Etudes préliminaire et datation de quelques éléments campaniformes de site kahf el baroud (Maroc)*, Beitrage Zurallgeun und vergleichen archäologie, Band, 18. 1999.
- Salih, A.; Oujâa, A.; Heckedorf, R.; Nami, M.; El Graoui, M.; Lemjidi, A. et Zohal, H,** *L'aire de l'Oukaïmeden, Haut Atlas, Maroc : Occupation humaine et économie pastorale*, (1998). Beiträge zur Allge-meinen und Vergleichenden Archäologie, 18: pp. 253-295
- Souville, G.,** *Témoignage sur l'âge de bronze au Maghreb occidental*, CRAI, 1986.p.98 et 113
- Vaufray, R.,** *Préhistoire de l'Afrique, I, Maghreb*, Paris 1955. p. 268